

الأميري.. ورحلة البحث عن "شهادة الميلاد"!! باسل الرفاعي

أحسنت مجلة "الأدب الإسلامي" صنعاً، وأجادت حينما خصّصت عددها الستين الأخير للحديث عن الشاعر الراحل عمر بهاء الدين الأميري، وأفسحت فيه المجال للعديد من الدارسين والمهتمين فتناولوا شخصية الأميري وشعره بالعرض والتحليل، وتوقفوا عند جوانب عدّة من حياته وعطائه، فأثروا العدد بحق، وأدّوا بمجموعهم بعضاً من واجب التكريم والتقدير لهذا الشاعر الكبير.

وحياة الأميري وشخصيته التي كانت أوسع من حدود الشعر الذي عرفه به أكثر الناس، ومن مدى الأدب وحده، تستحق دراسات كثيرة وتناولاً مختلفاً، غير أنّ من ألحّ بدّهيات الحديث عن شخصية متميّزة كالأميري، أن نعرف تاريخ ميلاده رحمه الله، وهو أمر - على بساطته - اختلفت فيه الروايات وتعددت حوله الأقوال، ولذلك فلم يكن مستغرباً أن تخطئ مجلة "الأدب الإسلامي" في تحديد ذلك التاريخ، وقد سبقها إلى خطئها كثيرون غيرها، كان الأميري نفسه واحداً من بين هؤلاء!!

أرقام.. وأوهام!

تُجمع أغلب الروايات والمصادر التي تعرّضت لحياة الأميري على أن مولده حدث في مدينة حلب السورية خلال العقد الثاني من القرن العشرين، لكن الاختلاف سرعان ما يظهر لحظة الحديث عن سنة ذلك الميلاد!

فابتداءً، وبالعودة إلى جواز السفر المغربي الذي ظلّ الأميري يحمله حتى آخر أيام حياته، والذي احتفظ بنسخة منه أذنّ لي الأميري بتصويرها خلال تسجيل لقاء صحفي معه أواسط الثمانينات، تمّ تحديد سنة الميلاد بعام ١٩١٥ م؛ وذهبت مصادر متقدمة، ككتاب "من هو" الموسوعي (١)، ومثيله "من هم في العالم العربي" (٢) اللذين اعتمدا على معلومات مستقاة من أصحاب التراجم أنفسهم، إلى تسجيل ميلاده بعام ١٩١٦ م.



وفيما أفادت مجلة "الشهاب" المصرية التي عرضت عام ١٩٤٨ م. نبذة عن حياة الأميري (٣)، نقلاً عنه كما يفترض، أنه من مواليد سنة ١٣٢٩ هـ. وهو ما يوافق عام ١٩١١ م.، فإن عبد الحليم خلدون الكناني، الصديق المقرب للأميري، أفاد في دراسة مطوّلة عن شعره أنه من مواليد عام ١٩١٧ م. (٤)؛ على حين ذهب أحد الباحثين المعاصرين الذي تبنت كتابه "جمعية العاديات" السورية إلى تحديد سنة الميلاد بعام ١٩٢٣ م. (٥)!

ولقد أورد موقع "رابطة أدباء الشام" في ترجمته للأميري أنّ ولادته كانت سنة ١٩١٤ م.، وانفردت "اثنيّة" عبد المقصود خوجة (٦)، والملحق الثقافي لصحيفة "الجزيرة" السعودية (٧)، ومجلة الفيصل (٨)، من بين جميع ما اطلعت عليه من صحف ومجلات ومصادر مختلفة، فأفادت بأنّ الأميري من مواليد عام ١٩١٨ م.؛ وأورد ذلك أيضاً الدكتور خالد الحلبي في رسالته المطبوعة عن الأميري، لكنه مال إلى ترجيح عام ١٩١٦ م. اعتماداً على اثنتين من قصائد الأميري أشار فيهما إلى سنّه، رغم ما أورده من قيامه شخصياً بالاطلاع على جواز سفر للأميري في منزله بحلب صادر عام ١٩٣٩ م. وقد حمل التاريخ الأول ١٩١٨ م. (٩)!

وثائق متعارضة!

ولقد كان ملفتاً للنظر أنّ دواوين الأميري ومؤلفاته التي صدرت في حياته، حملت في معظم طبعتها نبذة عن دراسته ووظائفه ونتاجه الشعري والأدبي، من غير أن يرد في أي منها ذكر لسنة ميلاده، غير أنّ الأميري تعرّض لهذا الأمر في أواخر سنيّ حياته، وذكر - فيما نقله عنه وليد السامرائي في رسالة تقدّم بها لنيل شهادة الماجستير بإحدى جامعات لندن (١٠)، والتي نقل عنها الحلبي في رسالته (١١) التي نقلت عنها مجلة "الأدب الإسلامي" كما يبدو - بأنّ والده احتفى به وأرّخ ليوم ولادته على ورقة "روزنامة" بالتاريخ الهجري والشرقي، وكتب عليها بخطه الأنيق كلمة دعاء للمولود الجديد الذي أسماه "عمر صدقي"؛ وأفاد الأميري بأن هذه الورقة بقيت بين أوراقه ووثائقه التي خلفها في حلب، لكنه احتفظ في ذاكرته أن ميلاده بالتاريخ الهجري كان في يوم ٢٩ من جمادى الأولى، من غير أن يتذكر العام، وعندما قام بمعادلة التاريخين الهجري والشرقي بالتاريخ الميلادي، تبين له أن ولادته كانت في عام ١٩١٦ م. (١٢)!

ولقد وقفت بنفسني على صورة للأميري في مقتبل العمر ضمن ما تبقى من تراثه في المغرب، كُتبت تحتها بخط والده على الأغلب: "سحب هذا الرسم في حلب نهار الأحد المصادف ٣ ذي الحجة ١٣٤٧ و ١٢ مايس ٢٩؛ وعمر في الثالثة عشرة من سنيه"، واليوم والشهر وفق هذه الوثيقة يخالفان - كما هو واضح - ما سبق وأفاد به الأميري، فإذا استعملنا جدول مقابلة التواريخ الهجرية بالميلادية وجدنا أن تاريخ الميلاد - وفق هذا المصدر - كان سنة ١٩١٦ م. الموافق لسنة ١٣٣٤ هـ.



على أن تعارض الوثائق والروايات لا يقف عند هذا الحدّ، ذلك أن وثيقة أخرى لا تقلّ أهمية اطلعت عليها بين أوراقه، هي صورة عن قيد سجلّه المدني في حلب تمّ استخراجها عام ١٩٥٩ م. أفادت بأن تاريخ ميلاده هو عام ١٩١٥ مصححاً عن عام ١٩١٨ م؛ وكأنما استنبق الأميري تسأولنا فكشف للسامرائي أنه عندما ترشّح للانتخابات النيابية عام ١٩٤٩ م. اضطر إلى إجراء ذلك التغيير في سجل الأحوال المدنية حتى يكون ضمن السن القانونية التي تتيح له حق الترشيح، وأنه قد استعان بموافقة ممثل الأحوال المدنية آنذاك في التغيّب عن حضور محاكمة التصحيح ليحكم له بدعواه دون تقديم شهود!

وعندما كتب السامرائي في دراسته، التي بعث بها إلى الأميري ليراجعها، متمنياً أن تتاح لأحد الباحثين فرصة الاطلاع على ورقة "الروزنامة" التي أشار الأميري إليها، فيتأكد من التاريخين ويحسم الأمر، شطب عمر الأميري هذه الفقرة بأكملها، وكتب إلى جانبها بخط يده عبارة: "ما أهمية ذلك؟" وظلّ عمر الأميري إلى آخر حياته لا يملك وثيقة تؤكد تاريخ ولادته بشكل قطعي، ولا يعير الأمر كثير اهتمام، ولذلك فلم يكن مستغرباً أن يشير إلى سنّه في بعض أبيات قصائده ويخطئ في تحديدها، فهو قد جعل - على سبيل المثال - عنوان إحدى قصائد ديوان "أبوّة وبنوّة" المخطوط: "في الثلاثين"، وكتب في تقديم القصيدة التي نشر بعضاً من أبياتها في ديوان "أمي" (١٣) أنه أنشدها وهو في عتبات الثلاثين ليلة ذكرى مولده، وكان تاريخها ٢٩ جمادى الآخرة ١٣٦٤ هـ. وهو ما يوافق شهر حزيران/يونيه عام ١٩٤٤ م، مما يجعل تاريخ ميلاده وفق ذلك عام ١٩١٤-١٩١٥ م؛ ولا يخفى أن الأميري أخطأ هنا في تحديد السنة والشهر أيضاً، فأفاد أنه "جمادى الآخرة" بينما سبق ورأيناه يحدث السامرائي عن أن مولده تمّ في شهر "جمادى الأولى" كما جاء على ورقة "الروزنامة" تلك!

وكذلك فعل الأمير في قصيدته "ألوان من وحي المهرجان" التي كتبها عام ١٩٧٥ م. وأفاد في أحد أبياتها أنه ابن تسع وخمسين سنة، مما يستوجب أن يكون تاريخ مولده هو عام ١٩١٦ م. (١٤)، وعندما سألت هاشم منقذ الأمير عن تفسير هذا الاضطراب في تحديد سن والده، أرجع الأمر إلى الفوضى التي رافقت انتقال الوثائق من مرحلة الدولة العثمانية إلى الدولة السورية، مؤكداً أن الذي يعرفه من فم الوالد أنه ولد عام ١٩١٦، وأن زيادة سنة في عمره أو إنقاص سنة لا يقدم في النهاية ولا يؤخر!

معادلة بسيطة!

ولم يكن الأمر يحتاج كل ذلك العناء، وما كان تحديد عمر الأمير بهذه الصعوبة، لو أننا قسنا ميلاده إلى سنة قطعية الثبوت وقارناً بينهما؛ ولعل من أدل ما يمكن التعويل عليه بهذا الصدد هي سنة ١٩٣٦ م. التي تخرّج فيها الأمير من الثانوية العامة، وسافر في شهرها قبل الأخير للدراسة في فرنسا (١٥)، وكان وقتها على عتبة الثامنة عشرة من عمره، كما تكون سنّ كل من أنهى الدراسة الثانوية، وكما ذكر بنفسه في حديثه مع وليد السامرائي عن ذكريات "باريس"؛ وبعملية حسابية بسيطة، نستنتج - بناء على ذلك - أنّ تاريخ ميلاده الأرجح هو عام ١٩١٨ م.

ويعزّز هذا الاستنتاج أيضاً ما أورده الأمير خلال إحدى تسجيلاتي معه، وورد في تسجيله مع السامرائي أيضاً، من أنه كتب في مقتبل عمره قصيدة في رثاء ملك الأفغان "نادر شاه"، نظمها وعمره ١٥ سنة؛ فإذا علمنا أن وفاة الملك كانت عام ١٩٣٣ م، أدركنا مرة أخرى أنّ ميلاد الأمير ينبغي أن يكون بناء على ذلك عام ١٩١٨ م.

ختاماً، وبانتظار العثور على ورقة "الروزنامة" المفقودة، أو دليل آخر جديد، يظل تحديد يوم ميلاد الأمير والشهر الذي ولد فيه ضرباً من التكهّنات، والأمر بمجمله صفحة واحدة من حياة حافلة لرجل عظيم، تستحق المزيد من الدراسة والتحليل والتحقيق.

هوامش:

- ١- "من هو في سوريا" - ص ٤٧٢
- ٢- "من هم في العالم العربي" - ص ٥٤
- ٣- "الشهاب": صحيفة أصدرتها جماعة الإخوان المسلمون المصرية سنة ١٩٤٨ م. ولم تصدر منها إلا خمسة أعداد، كانت تختتم كل واحد منها بباب أسمته "سجل التعارف الإسلامي" يحتوي على صور مجموعة من العلماء والدعاة من مختلف بلدان العالم الإسلامي، مع نبذة عن حياة كل منهم؛ وفي العدد الثالث - ص ٨٨ أوردت المجلة نبذة عن الأميري وأفادت أنه من مواليد سنة ١٣٢٩ هـ!
- ٤- عبد الحليم خلدون الكناي: "نظرة في شعر عمر بهاء الدين الأميري" - مجلة "دعوة الحق" المغربية - العدد ٨ - السنة ٢٢ - ربيع الأول ١٤٠٢ هـ - ديسمبر ١٩٨١ م. - ص ٤٤
- ٥- عامر رشيد مبيض: "مائة أوائل من حلب". انظر موقع "حلب عاصمة الثقافة الإسلامية" تحت باب "أعلام من حلب".
- ٦- "الاثنيينية" - ج ٦ - حفل تكريم الأميري بتاريخ ١٤٠٨/٣/١١ هـ الموافق ١٩٨٧/١١/٧ م.
- ٧- عبد العزيز صالح العسكر: "الأميري.. هكذا كان معلماً" - صحيفة "الجزيرة" السعودية - الملحق الثقافي - العدد ٦٩ - ٢٦/٧/٢٠٠٤ م.
- ٨- مجلة "الفصل" - "من كتاب هذا العدد" - العدد ١٣١ - السنة ١١ جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ - يناير ١٩٨٨ م. - ص ١٢٢
- ٩- د. خالد الحلبي - "عمر بهاء الدين الأميري شاعر الإنسانية المؤمنة" - ص ٣٩-٤٠
- ١٠- جامعة "ليدز" البريطانية - قسم الدراسات العربية المعاصرة - تموز/يوليو ١٩٨٦ م.
- ١١- د. خالد بن سعود الحلبي: "عمر بهاء الدين الأميري شاعر الإنسانية المؤمنة" - منشورات نادي جازان الأدبي - ط ١ - ٢٠٠٦ م. - ص ٤٠
- ١٢- عن نص الرسالة باللغة العربية كان السامرائي قد بعث بها إلى الأميري لمراجعتها قبل تسليمها للجامعة، وقام الأميري بإجراء تصحيحات بالغة الأهمية عليها، وهي ضمن ما تبقى من تراث الأميري في المغرب واطلعت عليه في زيارة خاصة.
- ١٣- ديوان "أمي" - ص ٨٥-٨٦
- ١٤- ديوان "من وحي المهرجان" - ص ٣
- ١٥- انظر: "من هم في العالم العربي" - ص ٥٤، و"من هو" - ص ٤٧٢، إضافة لمجلة "الفتح" - العدد ٥٧٧ - العام الثاني عشر - ٢٢ رمضان ١٣٥٦ هـ - ص ١٥